مجلة قراءات علمية
في الأبحاث والدراسات العلمية

Number35 ■ Sepember ■ 2024 العدد الخامس والثلاثون ■ شتنبر ■

مجلة قراءات علمية

في الأبحاث والدراسات القانونية والاقتصادية والعلوم الإنسانية

Scientific Readings Journal

in legal research and studies and human sciences

مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والأبحاث في مجال العلوم القانونية والاقتصادية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية

مديرة المجلة:
الأستاذة حليمة عبد الرمى

رئيس التحرير:
الدكتور محمد علي امدغري

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر وللمجلة ©

ردمد: ISSN: 2737-8322 الإيداع القانوني: 02 ن د 2021

Majalatkiraat@gmail.com www.allbahit.com

الأستاذ محمد سجيد
أستاذ مبرز- مديرية زاكورة- المغرب

قراءة في السيرة الذاتية للدكتور إدريس لكريني "طفولة بلا مطر": العالم بعين إدريس لكريني الطفل: المعاناة تصنع الرجال

Reading the autobiography of Dr. Idris Lakrini "Childhood without rain": The world through the eyes of Idris Lakrini the child: suffering makes men

مقدمة:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على السيرة الذاتية للدكتور إدريس لكريني، الموسومة بطفولة بلا مطر[1677]، وذلك بالتركيز على رؤيته للعالم وللحياة وهو طفل، من خلال تقسيمه للعالم إلى ثنائيات ضدية.

لا تزال الطفولة منذ القديم محط اهتمام واستلهام لكثير من الكتابات السردية الوازنة[1678]، وغالبا ما نفهم الطفولة عندما نتجاوز هذه المرحلة العمرية، فنحن إلى العودة إليها من خلال الكتابة عنها، أو سرد قصص متعلقة بها على الخلان والأحباب في مجالس السمر، فإذا كان الإنسان عموما يحن إلى مرحلة الشباب لدواع عديدة، كما قال الشاعر[1679]:

فيا ليت الشباب يعود يوما *** فأخبره بما صنع المشيب

فإن هناك من يشتاق إلى الطفولة ليتها تعود يوما ليخبرها بما تركت فيه من ذكريات أمل وألم حفرت في القلب، فلا يمحوها مرور الأزمان. والطفولة بهذا المعنى تساهم في تشكيل الوعي، وقد نعدها أحيانا هروبا من و اقع لم يعد يعترف بالقيم النبيلة والمبادئ السامية، و اقع لا مكان فيه لقيم الطفولة ببراءتها وسذاجتها، إلى عالم ولى، كان يحفل بكل تلك القيم والمبادئ.

فضمن أي الفريقين يمكن أن نصنف عمل الدكتور إدريس لكريني؟ هل يحاول الهروب من و اقع مرير إلى زمن جميل؟ هل يحفل بمرحلة شكلت وعيه، وساهمت في تحقيق نجاحه الأكاديمي؟ هل هذه العودة للطفولة تعد انبهارا بمسار طفل ما كان له ليصل إلى ما وصل إليه اليوم؟

عتبات الكتاب:

أول ما يثير انتباه القارئ في كل عمل هو عتبة العنوان، باعتباره مدخلا مركزيا في فهم أو افتراض موضوعه، والعنوان الذي اختاره إدريس لكريني "طفولة بلا مطر" لم يكن بريئا، بمعنى آخر هو بعيد كل البعد

1677اعتمدنا في هذه القراءة على الطبعة التي أصدرتها المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، سبتمبر 2023.

1678 مثلا: تشارلز ديكنز في روايتيه "أوليفر تويست" 1838، و"الآمال الكبيرة" 1860، ويوهانا شبيري في روايتها "هايدي" 1880، وليمان فرانك بوم في روايته "ساحر أوز العجيب" 1900، ولوسي مود مونتغمري في روايتها "آن في المرتفعات الخضراء" 1908، وعبد المجيد بن جلون في سيرته "في الطفولة" 1993، وليلى أبو زيد في سيرتها "رجوع إلى الطفولة" 1993، وغيرها كثير. وكلها روايات أو سير ذاتية تسرد أحداث الطفولة البائسة، التي عانت من اليتم والظلم والقهر والاستعباد، كما أن بعضها فيه حنين إلى تلك المرحلة وخاصة إلى الجانب المشرق منها، نظرا لفقدانه في مرحلة الكبر.

1679هو الشاعرُ أبو إسحاق إسماعيلُ بنُ القاسمِ بنُ سويد بن كيسانَ العينيّ، المشتهر بكنيته (أبو العتاهية).

عن براءة الطفولة، إذ غالبا ما ترتبط الطفولة بما له علاقة بالعاطفة أو اللعب أو ما في معناهما، لكن ما علاقة الطفل إدريس بانحباس المطر، أو بوجوده؟ والجواب -حسب رأينا- يكمن في أن من يحمل هم المطر والجفاف...الخ هو إنسان راشد عاقل، وكأن الكاتب يخبرنا أن الطفل إدريس عاش مرحلة عمرية أكبر من عمره الحقيقي، و أنه حرم من عيش طفولته، ولم يقضها في اللهو واللعب والاستمتاع كباقي الصبيان، بل كان همه ومسؤوليته أكبر من جسمه وسنه (المطر= السعادة/ لا مطر= لا سعادة).

والمسألة الثانية، وهي نتيجة للأولى، أن طفولةً بلا مطر كان من المتوقع ألا يكتب لها النجاح ولا النجاة، ومع ذلك استطاع هذا الطفل أن يتجاوز سنوات الجفاف، بأنواعه، ليحقق نجاحا قل نظيره لمن مر من الظروف والمعاناة نفسها.

أما صورة الغلاف فإنها شديدة الارتباط بالعنوان، وهي صورة فوتوغرافية مركبة من أربعة مستويات، مستوى الأرض الجافة المشققة، نظرا لانحباس المطر عنها لفترة طويلة، ويلاحظ أن هذه التشققات تتجه وتزحف نحو القرية، ثم مستوى الأشجار والنباتات الخضراء التي تغطي مساحة صغيرة مقارنة بباقي المستويات، ثم هناك مستوى قصبة بني عمار بمنازلها ومسجدها الذي طالما تحدث عنه الكاتب لأنه كان يسكن بجواره، وأخيرا هناك مستوى السماء الممتدة في الأفق، بشمس في طور الغروب، وبضم هذه المستويات بعضها إلى بعض يمكن الوصول إلى معنى ذي دلالة، وهو تأثير الجفاف على قرية الكاتب، وإن استمر الأمر على حاله فإن مصيرها الأفول كما تأفل الشمس.

على أن هناك صورة أخرى في الواجهة الخلفية للكتاب، لا تقل أهمية في دلالتها عما قيل، وهي بمثابة رسالة مقصودة من الكاتب إلى قارئ عمله، إذ يحاول من خلالها أن يؤثر، عن قصد، في مشاعر القارئ، فقد كان التقليد أن يضع الكتاب صورهم الحديثة الأنيقة، أي في فترة الكتابة، بلباس رسمي يعكس المكانة، لكن لكريني قصد وضع صورته وهو طفل صغير، في مرحلة التعليم الإعدادي، وتبدو عليه علامات الدهشة والبراءة، مما يحتم على القارئ تذكر هذه الصورة طيلة فصول السيرة، ويضطره إلى أن يتعاطف ويشفق على لكريني الطفل أكثر من تعاطفه وإشفاقه على لكريني الأكاديمي.

والملاحظة الأخيرة بخصوص العتبات، هي تحفظ الكاتب عن تجنيس عمله، وإن كان واضحا أنه يندرج ضمن الأعمال السردية السيرذاتية، لكنه لم يصرح بذلك في الغلاف ولا في المقدمة، وبالمقابل اكتفى بتسميتها مذكرات.

العالم يكبر في عين الطفل إدريس:

يتداخل في هذه الرواية سلطة الإنسان وسلطة المكان والعلاقات، ولعلها تحفل بدلالات رمزية تترى، قد يوافقنا القارئ في استنباطها، تتعلق أساسا بنظرة الطفل للعالم والمحيط من حوله، وكيف يتسع شيئا فشيئا في عينه.

إن أول إشارة تشعر المتلقي بأنه أمام عمل واقعي يتحدث عن طفولة الدكتور إدريس لكريني، دون تغيير أو تعديل، أو على الأقل دون تصرف كثير في الأحداث، هو تأكيده في المقدمة أنه باح بهذه "القصص" أو

المذكرات لأسرته الصغيرة وبعض أصدقائه، خاصة وأنه ذو ذاكرة قوية، تستطيع ترميم ما قد أغفله في مذكراته الطفولية المخطوطة.

يشعر قارئ هذا العمل، في أغلب فصول الكتاب، أنه قد انتقل دون وعي منه إلى عالم قرية الشاعر(بني عمار[1680]) وعالمه الطفولي البريء، وفتح مخيلته على علاقاته و أفعاله، بكل تفاعلاتها وصخبها وضجيجها وهدوئها، وفجأة يجد نفسه يشاركه لحظات الخوف والطمأنينة والفرح والحزن، وكأنه حاضر معه.

يبدأ لكريني سيرته ببداية حياة جديدة، كان لأمه فضل كبير فيها، فكما أيقظته من النوم العميق الذي أخذه في عالم الأحلام بعيدا عن و اقعه المعيش، أيقظته كذلك من عالم الجهل والظلام، فقررت إمداده بأول أداة لفهم العالم، وهي العلم من خلال أخذه إلى الكتاب أو "الجامع/ المسيد" ليتعلم الكتابة والقراءة، وهو اليوم مدين لهذا الجميل الذي صنع منه رجلا مثقفا وأكاديميا ناجحا.

هناك يكتشف الطفل إدريس أن العالم أكبر من منزله الضيق، وهناك لم يخف دهشته عندما بدأ يكتشف عالم "الجامع" بجدرانه وسقفه وصبيانه والفقيه سي حسن.. هذه الدهشة ستعقبها صدمة طفولية عندما تلقى رسالة من ساعي البريد "بلقايد" أرسلها والده من فرنسا، لكنه لا يستطيع قراءتها، لذا تستعين أمه في كل مرة ب"فتاح" ليفك لها رموزها، وكأن أمه تقول له "لهذا أدخلتك الجامع"، مما شكل لدى إدريس وعيا بأن فهم العالم يحتاج حقا إلى القراءة والكتابة، تماما كما يحتاج إلى الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق "الرجل"، وهو ما سعت أمه لإشعاره به، من خلال إرساله إلى الجامع بمفرده، وتكليفه بالتسوق وجلب حاجيات المنزل.

وتأكد له أن العلم هو السبيل لحماية الحقوق وحفظ المصالح، يقول: "لم أكن أتردد أحيانا في طلب بعض القطع من الحلوى ليضيفها إلى اللائحة، طالما كانت أمي لا تتقن القراءة"[1681]. كما أنه مفتاح للسعادة فعندما تعطل جهاز التلفاز أخبره التقني أن الجهاز بخير "كل ما في الأمر أنكم نسيتم فتحه -التلفاز- قبل تشغيل المحول الكهربائي.. انتابني شعور بالإحباط والأسى، بعد أشهر من الملل بسبب مشكل بسيط"[1682].

إن حياة الطفولة حياة اكتشاف باستمرار، فإدريس لكريني لم يغادر دروب قريته في سنواته الأولى، وكان العالم كله في نظره هو تلك القرية، ليكتشف بعد ذلك أن هناك عالما أكبر بكثير مما يظن، اكتشف ذلك عندما اتجه نحو المقبرة، فرأى الجبال والسهول والورود والأشجار والسماء الزرقاء ورأى الأفق البعيد، فظل يحلم دوما باكتشاف ما وراء ذلك "المجهول" يوما ما.

وفي خضم الشغب الطفولي واللعب مع الرفاق، يتذكر كل صغيرة وكبيرة، فما زال يتذكر كيف كانت تعاملهم "طاطا" التي كانت تستغل حاجتهم، فتغريهم ببعض الحلوى الرخيصة لقضاء حوائجها، ليترسخ في ذهنه أن الذي يملك المال أو ما يقوم مقامه، يملك سلطة بمعنى ما، وبها يستطيع تسخير الآخرين لفعل ما يريد.

1680بني عمار هي قرية أو دُوَّار يقع بجماعة نزالة بني عمار، عمالة مكناس، جهة فاس مكناس في المملكة المغربية، ينتمي الدوّار لمشيخة بني عمار التي تضم 6 دواوير، وتبعد عن مكناس بحوالي 40 كيلومترا.

1681طفولة بلا مطر، ص 9.

1682نفسه، ص 24.

ر دمد: ISSN: 2737-8322 ** الإيداع القانوني: 02 ن د 2021

وفي الوقت نفسه اكتشف أن وجوده هو ووجود أخيه في حياة أبويه هو نعمة لا تقدر بثمن، ف"طاطا" بالمقابل ليس لها أبناء، لذلك تظهر حاجتها إلى الاستعانة بأبناء الآخرين، أما أمه فكانت ترسله هو لقضاء ما تحتاج إليه، فالنعم ليست على مستوى واحد.

كما أن وجود أبيه في البيت بين أحضانهم مدعاة للفخر والشعور بالأمان، ولذلك كان الجد يتكفل بمنحهم بعض القوة والهيبة في غياب الأب وعودته إلى ديار المهجر، لذا كلما مر من أمام بيتهم نادى باسم إدريس أو أخيه، لتخرج الأم وتخبره أن الأسرة كلها بخير، وإن كانت الحقيقة أن الأم هي التي "كانت تتحمل مسؤولية الأب والأم في غيابه"[1683].

سعى الأب إلى استكمال المسار الذي بدأته الأم الأمينة، بتعليم الولد القراءة والكتابة، من خلال السماح له بولوج المدرسة، مما أدخل البهجة في نفس إدريس، لأن المدرسة عالم يختلف كليا عن "الجامع"، عالم سيكتشف من خلاله إدريس بعض الفئات الاجتماعية المتباينة؛ فمنها من يستحق التعاطف والإحسان "في أول الصف تجلس فتاة جميلة بضفيرة شقراء، لم تكن مجتهدة، وكثيرا ما يتعاطف معها التلاميذ عندما كانت تتعرض للتوبيخ من قبل المعلم"[1684]، ومنها الفظ الغليظ "وفي آخر الصف يوجد تلميذ ضخم الجثة، يتصرف بتلقائية... ذات يوم طلب منه المعلم مغادرة القسم بعد أن أربك الدرس"[1685]. ومنهم الفقراء المحتاجون "غدا سيبدأ المطعم المدرسي في تقديم خدماته للتلاميذ الفقراء"[1686]. ومنهم الأغنياء الميسورون "لا تسجله إن والده غني يشتغل في فرنسا"[1687].

ظل إدريس يراقب ما يدور من حوله ويخزن في ذاكرته ومذكراته، وكأنه يحاول فهم العالم، يذكر أن الغنى يورث المكانة والاحترام، "منذ أن حصلنا على الجهاز-يقصد التلفاز- وأمي تحظى بمعاملة خاصة من لدن جاراتها"[1688]. وأن الفقر يورث عدم الاهتمام، فبعد تعطل التلفاز "لم تعد نساء الحي تقصد بيتنا"[1689]....

ويسجل، بحزن، كيف كانت أمه تحرمه من متابعة الأخبار فتطفئ التلفاز، لسبب ظل خفيا، أو لعلها لا ترغب في أن تطلع هي ولا أبناؤها على ما يجري في العالم، لأنها لن تستفيد من ذلك شيئا، أو تفعل ذلك هربا من أسئلة محرجة غير متوقعة من الابن الذي بدأ يكتشف العالم شيئا فشيئا، وهي لا تحير جوابا.

في الفصل الرابع يبدأ الحديث عن انحباس المطر وحلول الجفاف الذي أتى على كل ما يملكه سكان القرية، مما اضطر الكثير منهم لترك القرية نحو المدن القريبة كفاس ومكناس وزرهون بحثا عن تأمين لقمة عيش، واضطر آخرون لبيع مواشيهم بثمن بخس، مما أشاع موجة من القلق الذي عم البلاد، وسعي السكان إلى الحصول على الماء بكل وسيلة كحفر الآبار، والفزع إلى صلاة الاستسقاء، وخروجهم متضرعين بين الأزقة

1683طفولة بلا مطر، ص 21.
1684نفسه، ص 17.
1685نفسه، ص 17-18.
1686نفسه، ص 18.
1687 نفسه، ص 18.
1688 نفسه، ص 23.
1689نفسه، ص 24.

والدروب.. وهنا، رغم اشتداد الموقف، يتأثر الطفل إدريس بجملة قالها رجل طاعن في السن "لن تمطر حتى نعود إلى الطريق"[1690]. إشارة منه إلى مكر الإنسان وعدم التزامه بشريعة الله ولا بقانون البشر.

كما يكتشف في عز هذه المحنة مع شح الماء أن الاجتهاد في التحصيل قد يضمن له حياة أفضل، وذلك عندما رشحه معلمه ليجيب عن أسئلة باحثة اجتماعية. لكن الطفل لم يشغل باله سوى لعنة الجفاف الذي حل بالقرية، فزاد الأمر سوءا، وحتى المطر الذي هطل بغزارة لم يكن مفيدا البتة، كان مدمرا إذ أفسد أكثر مما أصلح، لأنه أتى متأخرا، الأمر الذي عجل برحيل عشرات الأسر والأصدقاء عن القرية.

هذا الرحيل الذي ترك صدمة عميقة في نفس إدريس؛ رحل المطر، ورحل الإنسان، ورحل الأصدقاء، ورحل الأب، ولعل رحيل الجد يلوح في الأفق، فرحلت السعادة والأنس.

كثيرا ما يسعد إدريس عندما يتسلى بحفر الآبار ونصب خيام، وكأن معنى الحياة في يتلخص عنده في توفر ماء وخيمة؛ فالماء في السيرة رمز للحياة، والخيمة رمز للاستقرار بمعناه الواسع، فلعله يرى أن الحياة السعيدة لها جناحان؛ الماء وهو مصدر المال والقوت في القرية، ثم مسكن يؤوي الأسرة ويوفر لها الأمان والدفء، وكأنه يؤول قوله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (حديث صحيح). مما جعل انتباهه مشدودا، أينما حل وارتحل، نحو الماء والمطر، ثم وصف المنازل والمساكن (بيتهم، بيت جده، فيلا عمه، بيت قريبه، غرف سكنه في فاس، القسم الداخلي...الخ)

خلف موت الجد فراغا كبيرا، وجفافا عاطفيا، في نفس إدريس، ولم يستطع الأب تعويضه، لأن الأيام التي كان يقضيها في القرية معدودة، وسرعان ما يضطره الجفاف إلى مغادرة الوطن نحو فرنسا. تاركا مهمة البحث عن الماء لإدريس، الذي كثيرا ما يضطر إلى التنقل بين العيون في أوقات فراغه لإنقاذ أسرته. لقد تحمل المسؤولية الآن بشكل رسمي إذ تتوقف حياة أمه وأخيه عليه.

لذا كان لا يتذكر من كل الأحداث من حوله إلا البحث والألم والمعاناة، تتخللها لحظات مرح ممزوجة بكدر، فيحاول أن يسلي نفسه بأي شيء لكنه لا يستطيع تخطي الهم الذي يجثم على قلبه فيفقده لذة الحياة، ف"حتى قضاء لحظة استحمام أو استجمام لا بد أن تمر عبر المعاناة"[1691]. وحتى فترة استرخاء في بيت الفرن لا تمر بسلام، إذ لا يسمع إلا الكلام عن الحرب والقتل والمجازر، فيدرك عندها أن مواجهة الحياة تحتم عليه أن يكون رجلا قويا ذا مراس وخبرة، قادرا على الصبر وتحمل الصعاب، وعلى الدفاع عن النفس "قبل أن نشتبك بالأيدي وأوجه له لكمة قوية على وجهه"[1692].

أرخى الحزن بظلاله على إدريس وعلى القرية، فغابت الابتسامة وعم البؤس، وأصبحت الجملة التي يرددها كل سكان القرية "العام قبيح"[1693]، ولا تخلو لحظات حب من كدر، وتتحول محاولة اكتشاف عالم المدينة إلى خيبة أمل كبيرة، لا شيء مشجع. وتتحول لحظة إبداع و إبراز الموهبة إلى سخط وحرمان من الطعام

1690 طفولة بلا مطر، ص 33.
1691طفولة بلا مطر، ص 57.
1692نفسه، ص 87.
1693طفولة بلا مطر، ص 61.

"فإذا بها- يقصد أمه- تصرخ في وجهي: هذا حرام، إرم ذلك الصنم بعيدا، وإلا كسرته على رأسك"[1694]... "مما كلفني الحرمان من الغذاء"[1695]. وحتى الحلم بسماع لقب "الأستاذ" الذي كان يطلقه عليه صاحب الدكان، لم يكتمل، لأن الأمر يتعلق ب"وصف "تسويقي" يطلقه على كل زبنائه"[1696].

ظلت الثنائيات التي دأب إدريس على تقسيم العالم إليها، تلاحقه حتى عندما كان في يقضي العطلة الصيفية في عالم المدينة "فاس" في زيارة لعمه، فرأى عالما مختلفا عن القرية فأبهرته مظاهر "المدنية"، واكتشف أن إنسان المدينة يعيش الحياة حقا، بينما إنسان القرية هو أقرب إلى الأموات "كنت أشعر أنني أقرب كثيرا إلى هؤلاء"[1697]، ومع ذلك فسكانها، رغم وضعهم المادي المريح، إلا أنهم يقدسون المظاهر، وإن ابتسموا في وجه الكادحين فغالبا تكون "ابتسامة صفراء"[1698]، لذلك ظلت القرية تشده إليها بمظاهر "الإنسانية"، يقول: "أشعر بالاغتراب في هذه المدينة المخيفة، أحسست بالغربة والضياع، كحبة رمل في صحراء"[1699].

من هنا عرف أن المرء عليه أن يسعى لصناعة اسم يفتخر به أمام الملأ، ويستطيع الكل مناداته به "في هذه المدينة.. لا أحد يناديني باسمي.. شعرت بحنين جارف لقريتي الصغيرة، حيث الكل يعرفني ويشعرني بوجودي"[1700]. أو عليه أن يصنع لنفسه لقبا يجعله متميزا بين الناس "كان يناديني باستمرار ب"الأستاذ".. وكان يأمر مساعده: انظر ماذا يريد الأستاذ، وهو ما كان يبهجني، لذلك أصر باستمرار على زيارته متأبطا محفظتي الجلدية.. لأحظى بسماع هذه الكلمة"[1701].

هذا الاسم أو اللقب يبدو في الأفق أنه بدأ يصنع، بعد نجاح إدريس في الشهادة الابتدائية و انتقاله إلى مكناس، ثم إلى فاس بعدها، ليدرس السلك الإعدادي والسلك الثانوي، هناك سيحظى بعلاقات جديدة، ويخوض تجارب جديدة، ويواجه مشاكل جديدة، لكنه ظل وفيا لتفوقه الدراسي، كيف لا وهو الذي ترسخ في ذهنه قبل التحاقه بالمدرسة أن العلم مفتاح فهم العالم، و"إذا كانت لديك رغبة في التعلم، فلا يهم المكان"[1702]. ولا تهم الوسيلة (المدرسة، دار الشباب، المجلات، التلفاز، المذياع...).

لكن الشيء المشترك بين كل محطة من حياته هو شبح الجفاف ومحنة الماء اللذين يتربصان به ويلاحقانه، مما يذكره، في كل مرة، بمعاناة قريته بني عمار على مدى سنوات، حتى إنه يرى أن أغلب مشاكله، ومشاكل الناس، ترتبط في جزء منها بانحباس المطر، لذلك ظل يلعن الجفاف "لعنت في خاطري سنوات الجفاف التي أرغمت الكثير من الناس على مغادرة قراهم، والمغامرة في الاستقرار في هذه البيوت غير الآمنة"[1703]. بل لقد أرغم الكثير من التلاميذ المتفوقين على الانقطاع عن الدراسة، نظرا لتعقد الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم.

1694نفسه، ص 66.
1695نفسه، ص 66.
1696نفسه، ص 131.
1697نفسه، ص 79.
1698 نفسه، ص 78.
1699نفسه، ص 78.
1700طفولة بلا مطر، ص 78.
1701نفسه، ص 131.
1702نفسه، ص 92.
1703نفسه، ص 123-124.

غير أن العطلة التي قضاها في فرنسا رفقة أبيه، وتنقله بين عدد من المدن داخل المغرب وخارجه، وإدمانه على المذياع، كل ذلك فتح عينيه على عالم أكبر بكثير مما كان يتصور، عالم يعج بالحركة والانفتاح والرقي والتحضر، فكان يتوق دائما إلى مزيد من الاستكشاف، ولكن بالمقابل تولد لديه قلق وجودي مرتبط بمستقبله ومستقبل الإنسان ومصيره في قريته، ف"وسط هذا الضجيج العالمي، بكل طموحاته وآماله، [ظل] الجمود يكبل قريتنا، بل إن أوضاعها تتدهور.. فالكثير من الدكاكين ومعاصر الزيتون ومطحنة الحبوب أغلقت أبوابها، وعديدة هي الأسر التي هاجرت نحو المدن... وحدها المقاهي ظلت صامدة، بل وتز ايد عددها"[1704]. حتى إن أحدهم يتمنى أن يموت خارج هذه القرية، كما "أخبرنا أحد الأصدقاء الحاضرين، أنه لن يقبل بدفن جثمانه في هذه المقبرة"[1705].

وحتى لا يموت إدريس في هذه القرية من شدة الجمود، ورضى أهلها بو اقع يتدهور يوما عن يوم أمام أعينهم، فقد سُرَّ كثيرا بنجاحه في البكالوريا والتحاقه بالجامعة، التي يأمل أن تكون محطة مفيدة في حياته، فالآن لم يعد طفلا ير اقب قريته تحتضر بسبب الجفاف، بل أصبح كبيرا بما يكفي ليبحث عن حل للقضاء على هذا الجفاف.

الجمل الافتتاحية في السيرة:

لا ريب في أن كل خطاب بليغ لابد أن يتأسس على اللغة، إذ بها يتحقق الاتساق والانسجام، وبها تؤدى المعاني، وتساعد القارئ على الفهم، وبناء المعنى، كما تفتح أمامه بابا يتسلل من خلاله إلى رحاب التأويل.

لقد انتقى إدريس لكريني كلماته بعناية كبيرة، و انتقى كذلك الجمل التي افتتح بها فصول الكتاب بدقة، ويمكن القول إنها حكم جمعت معاني كثيرة، خاصة أنها تعود لكتاب وعلماء، عرب وغربيين، بلغوا شأوا في ميادينهم المتنوعة (الفلسفة/ الشعر/ الرو اية/ الفن/ السياسة/ الموسيقى...الخ).

ففي الفصل الأول يستشهد بقولة للروائي نجيب محفوظ "فنحن في حاجة إلى أن نعود إلى الحياة مرارا حتى نتقنها"[1706]، وكأنه جواب مسبق عن سؤال سيطرحه القارئ العارف بإدريس لكريني، رجل القانون والعلاقات الدولية، ومفاده: لم تكتب الرو اية أو السيرة الذاتية، و أنت رجل قانون؟ وما علاقة ما تكتب بما أنت فيه؟

فيكون الجواب بأن فهم أي مرحلة من مراحل حياتنا لا يتم إلا بعدما نكون قد تجاوزناها إلى غيرها، ولو قدر لنا العودة إلى تلك المرحلة لاختلف فهمنا لها، وكأنه يقول متحسرا الآن فهمت طفولتي.

ثم ينقل قولة أخرى لإسحاق نيوتن "الطبيعة تحب البساطة، الطبيعة ليست غبية"[1707]، وكذلك قولة لكونفشيوس "للسعادة رافدان أزليان: البساطة والطيبة"[1708]، وهما قولتان تجمعان على أهمية البساطة

1704طفولة بلا مطر، ص 147-148.
1705نفسه، ص 148.
1706طفولة بلا مطر، ص 7.
1707نفسه، ص 13.
1708نفسه، ص 21.

ر دمد: 2737-8322 ISSN ** الإيداع القانوني: 02 ن د 2021

والعفوية في العيش الهنيء، يضاف إليها طيبة النفس وبراءة السريرة، وهو ما جعله ينفر من عالم المدينة، ويتوق للعودة لقريته البسيطة (بساطة الحياة والأشخاص والعلاقات والأشياء وكل شيء).

ويفتتح الفصل الرابع ببيت شعري لجلال الدين الرومي[1709]:

لا تشرق الروح إلا من دجى ألم *** هل تزهر الأرض إلا إن بكى المطر. وهو بيت صريح في أن طريق النجاح محفوف بالألم والبكاء والمعاناة، وكأنه يلخص مسار حياته، وكيف تخلص من ظروفه الصعبة بقرية بني عمار إلى النجاح الأكاديمي، بالمدينة الحمراء.

أما الجملة التي افتتح بها الفصل الخامس فتعود لباولو كويلو "الخوف من المعاناة أسوأ من المعاناة نفسها"[1710]، ولها مناسبتان؛ الأولى شعور إدريس وشعور كل السكان بأن الجفاف سيحل بالقرية بلا شك، وهذا الترقب والانتظار شكل للجميع مصدر قلق من المجهول القادم، وأما المناسبة الثانية فهي علاقة هذا الفصل بالفصل الذي يليه وفيه يرحل الجد إلى الأبد، لكن الخوف من هذا اليوم أرخى بظلاله على إدريس "التفت (الجد) إليه (الحقل) بأسى وتحسر، حسبتها نظرة وداع، وشعرت في قرارة نفسي وكأن الأمر يتعلق بآخر زيارة له للمكان"[1711].

هذا الرحيل المؤلم ترك فراغا في نفس إدريس، لذلك ناسب أن يفتتح الفصل السادس المعنون ب"الرحيل" بقولة لمحمود درويش، الشاعر المكلوم، يقول "الموت لا يوجع الموتى، الموت يوجع الأحياء"[1712]، فقد تفجع لموت جده الذي كان سندا حقيقيا له في حياته، وبموته مات هذا السند، ومات هذا الألق، تماما كما فعل انحباس المطر بالقرية، وحل مكانه عام الحزن.

ثم افتتح الفصل السابع بمثل موزمبيقي مفاده أن "الطريق يصنعه المشي"[1713]، فمن أراد الوصول لابد أن يتحرك ويشق طريقه بنفسه، يكابد ويعاني ويتألم، وأما من يتهيب سلوك الطريق الشاق فسيبقى حيث هو، أما إدريس فقد صنع طريقا وعرا يمتد من بني عمار إلى مراكش.

وأما الفصل الثامن فقد أورد في مستهله قولة ل"واسيني الأعرج" الروائي الجزائري، يقول فيها "نحاول أن نغرس في داخلنا شيئا من الطمأنينة حتى ولو كان وهما"[1714]، فخوف إدريس كان يدفعه إلى البحث عن سبب يتعلق به للشعور بالراحة المؤقتة، ككونه يسكن قرب المسجد، وكذلك سكان القرية يتوهمون بأن زياراتهم للتبرك بالأموات وقبور الأولياء والصالحين، سيخلصهم من معاناتهم، فيشعرون بسكينة وهمية ارتبطت بالخرافات والأساطير.

ويفتتح الفصل التاسع بجملة لشاعر من قريته، اسمه محمد غدو، يقول: "هجر الحمام قريتي، حل الجراد"[1715]، إذ رحل السلام والحب والطمأنينة، وحل الجفاف المؤذن بالخراب والدمار، فكان "العام قبيح"،

1709نفسه، ص 29.
1710طفولة بلا مطر، ص 37.
1711نفسه، ص 40.
1712نفسه، ص 43.
1713نفسه، ص 47.
1714نفسه، ص 55.
1715طفولة بلا مطر، ص 61.

و أثر الجفاف على القرية بشكل واضح جدا، حتى "قلت الأعراس والحفلات الشعبية بالقرية، ولم يعد الناس يلتئمون إلا في المآتم"[1716]، بل إن مواعيد الزواج لم تعد تحدد بالشهور ولا بالسنوات بل بذهاب الجفاف "وعدها ذات يوم بالزواج إذا كان الموسم الفلاحي جيدا"[1717].

وفي الفصل العاشر، يورد قولة لألبرت انشتاين "الخيال أهم من المعرفة"[1718]، وكأنها إشارة إلى أن معرفة الإنسان مهما كانت واسعة، فهي قليلة ومحدودة و"نسبية"، ولكنه بخياله يمكن أن ينسج ويسبح في عوالم لن يدركها أو يصل إليها بمعرفته، بل يمكنه خرق قوانين المنطق والمعرفة العلمية، لأن الخيال مطلق. لذلك على المرء أن يجعل لنفسه حظا من الخيال والإبداع والخلق، وألا يكتفي بالمعرفة، وهذا ما شكل فارقا بين حكم المعلم وحكم الأم على عمل إدريس، ففي حين رأته الأم "صنما"[1719]، وجده المعلم "إبداعا جميلا"[1720].

وفي الفصل الحادي عشر يبدأ الكاتب بجملة للموسيقي العالمي "بوب مارلي" يقول فيها: "البعض يشعر بالمطر، والبعض الآخر يشعر بالبلل فقط"[1721]، ويمكن أن نستل منها دلالتين: تتعلق الأولى بقرية بني عمار، والمناطق المجاورة، إذ يستفيد ملاك الحقول من جني محاصيلهم من الزيتون خصوصا، فيدر عليهم دخلا وفيرا، بينما يشتغل "النفاضون" و"اللقاطون" بدراهم معدودات، في عمل موسمي سرعان ما ينقضي، فيعود الشباب إلى ما كانوا عليه.

في حين تتعلق الدلالة الأخرى بمقارنة بين ما يعيشه الآخرون في المدن من ترف وبذخ وتوافر شروط العيش الكريم، وبين مناطق أخرى، كقرية بني عمار، التي تتقلب في ويلات الجفاف، وفي هذا مقارنة ضمنية لوضعه بأوضاع غيره.

"يكمن مستقبل الهند في قراها"[1722]، هكذا افتتح الكاتب الفصل الثاني عشر، وهي كلمة ل"مهاتما غاندي"، وفيها إشارة من إدريس إلى شدة اشتياقه لقريته بني عمار، حين كان في مدينة فاس، بعدما عانى من غياب الإنسانية في المدن، لذلك رأى أن مستقبل "الإنسانية" من القيم والأخلاق يكمن في القرى بعيدا عن "المدنية"، حيث البساطة والحب والخير بدرجة أعلى.

في الفصل الثالث عشر يورد قولة ل"فان غوخ" "لست مغامرا باختياري، بل هو قدري"[1723]، ومن تتبع أطوار حياة إدريس سيدرك حتما أنه عاش مغامرات في القرية، مع الماء ومشاكل الحياة، وخارج القرية، خاصة في فاس، مكرها، محاولا التغلب على كل عقبة تصادفه من أجل إثبات نفسه، والتغلب على مظاهر الجفاف.

1716 نفسه، ص 61.
1717نفسه، ص 61.
1718نفسه، ص 65.
1719 نفسه، ص 66.
1720نفسه، ص 67.
1721نفسه، ص 71.
1722طفولة بلا مطر، ص 77.
1723 نفسه، ص 83.

ويختار في الفصل الرابع عشر قولة ل"محمد الماغوط" الشاعر والأديب السوري، يقول فيها: "إن الموت ليس هو الخسارة الكبرى، الخسارة الأكبر هو ما يموت فينا ونحن أحياء"[1724]، في دعوة من الكاتب إلى التمسك بالأمل، وأن الظروف مهما أوحت بالهلاك والجفاف والموت، لا بد أن يكون فيها بصيص أمل ينبعث من نفس حية، تو اقة للتغيير والبعث والإحياء، لذلك ظل يتعاهد تلك الشرارة المتقدة في نفسه، متمسكا بالأمل والمطر والحياة، حتى لا يعد ميتا بين الأحياء.

وفي الفصل الخامس عشر يورد حكمة "لعباس محمود العقاد" يقول "أحب الكتاب لا لأني زاهد في الحياة، ولكن لأن حياة واحدة لا تكفيني"[1725]، ولقد عاش الطفل إدريس محبا للكتاب متعلقا به وبدور الشباب والمكتبات، وببرامج الإذاعة، وحتى أثناء سفره أو انتظار دوره للاستفادة من بعض الخدمات الإدارية كان يتسلى بالقراءة لئلا يشعر بالملل، وهذا ما انعكس على حياته، إذ زادت ذخيرته المعرفية ومخزونه الثقافي، من خلال كثرة الاطلاع على تجارب الآخرين وحيواتهم، فكأنه عاشها جميعا.

وأما الفصل السادس عشر فقد افتتحه بقولة ل"ألبير كامو" يقول فيها: "إن كل ما يستطيع الإنسان أن يربحه في معركة الطاعون والحياة هو المعرفة والتذكر"[1726]، ذلك أن مواجهة الحياة بكل تقلباتها وآمالها وآلامها يشبه مواجهة الطاعون، لذا فلا حيلة للمرء سوى التسلح بالمعرفة، وتذكر كل لحظة مر منها ليتعظ ويعتبر.

و افتتح الفصل السابع عشر بقول "جيمس توربر": "أفضل الأشياء في الحياة بسيطة"[1727]، ولهذا كان إدريس طفلا بسيطا يستمتع بكل شيء بسيط، بعيدا عن التكلف أو التصنع، بل حاول أن يعيشا طفلا بريئا يتسلى بأي شيء، كحفر الآبار وصنع الخيام من البلاستيك وأعواد القصب، وجمع نبات "الكبار" وفاكهة التين، وحتى أحاديثه كانت ترتبط في مجملها بمشاكله اليومية، وقضايا محيطه القريب، ويأنس بذلك، وبالمقابل كان ينزعج من حديث صديقه "محمد" الذي "يطرح أسئلته المستفزة والمزعجة، حول أصل الكون، ووجود الإنسان، وأشياء أخرى"[1728]، لم يحن وقتها بعد.

وفي الفصل الثامن عشر ينقل قولة لبرناردشو، يقول فيها: "اهتم بأن تحصل على ما تحبه، وإلا ستكون مجبرا على أن تقبل ما تحصل عليه"[1729]، كان إدريس طيلة حياته مجبرا على تقبل ما يجد (سكن- أصدقاء- أكل...الخ)، سواء في القرية، أو في مدينة فاس حين كان يدرس هناك، وهذا شكل حافزا قويا لديه لئلا يستمر هذا الوضع، ولكي يحصل على ما يحب مستقبلا.

أما في الفصل التاسع عشر فكانت الجملة الافتتاحية لجيروم كلابكا جيروم، يقول: "إذا كنت لا تستطيع إزاحة الهموم، فاجعلها تنفجر في ضحكة"[1730]، فأحيانا لا طاقة للمرء على التخلص من الهموم التي تجثم على

1724 نفسه، ص 91.
1725طفولة بلا مطر، ص 99.
1726نفسه، ص 105.
1727نفسه، ص 111.
1728طفولة بلا مطر، ص 114.
1729نفسه، ص 115.
1730نفسه، ص 123.

ر دمد: ISSN: 2737-8322 ** الإيداع القانوني: 02 ن د 2021

صدره، ولكنه يستطيع التخفيف منها ببعض المرح والتسلية، وخلق أجواء للسعادة ولو من لا شيء، وهذا ما كان يفعله إدريس رفقة ثلة من أقرانه، بين الفينة والأخرى، وإن كانت في أغلبها ممزوجة بالنكد.

كذلك افتتح الفصل العشرين بقولة تعود لف.م. دوستويفسكي مفادها أن "السخرية هي الملاذ الأخير لشعب متواضع وبسيط"[1731]، وهي دلالة على أن الإنسان الذي لا يملك سلاح المعرفة، ولا يملك سلاح السلطة، ليغير واقعه، يلجأ إلى السخرية، سواء بمعناها القدحي أو بمعناها المدحي، وذلك لتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والقضايا الوطنية والدولية، لعله يساهم في توعية الناس بضرورة تحقيق وضع أفضل.

وفي الفصل الواحد والعشرين أورد مثلا صينيا يقول: "حبر باهت خير من ذاكرة آفتها النسيان"[1732]، وفيه حث على تقييد العلم بالكتابة، مادامت الذاكرة معرضة للنسيان كلما طال العهد، وهو ما فعله إدريس، فقد اعتاد كتابة مذكراته، وإن كانت بأسلوبه الطفولي، لكنها شكلت قاعدة تستند إليها الذاكرة لكتابة هذه السيرة بهذه التفاصيل، وكأنه عاشها اليوم.

على أنه افتتح الفصل الثاني والعشرين بقولة للأديب والمسرحي المصري توفيق الحكيم، وهي: "إن في الدنيا أشخاصا يجري في دمائهم الفن وهم لا يشعرون"[1733]، وهذا ملاحظ في كثير من الأحيان، تماما كما وقع لعمة الكاتب التي كانت تضفي على الجلسات العائلية نوعا من المرح بخفة دمها، وقدرتها على إتقان تقليد الأشخاص، حتى إن بعضهم يقول لها "لو ولجت المدرسة في طفولتك، لكنت اليوم ممثلة مشهورة"[1734]، ولربما اكتشف لكريني كذلك أن فن التأثير في الناس لا يستلزم الشهرة بالضرورة، كما فعل هو بهذه الرواية.

وفي الفصل الثالث والعشرين بدأ بالمثل ياباني "إذا كنت تحب ابنك، دعه يسافر"[1735]، وهو مثل يشجع على منح الأبناء قدرا كبيرا من الحرية في السفر والتنقل بين البلدان، لأن ذلك يساعدهم على تنمية مهاراتهم، ويقوي شخصياتهم، ويستطيعون معايشة نماذج أخرى من الناس، والاحتكاك بتجارب كثيرة، تجعلهم يعيشون الحياة أكثر من مرة، وذلك ما اكتشفه إدريس عندما زار والده في فرنسا وقضى معه شهرا كاملا، وقبلها عندما زار مدنا في المغرب للدراسة أو للنزهة والاستمتاع.

في الفصل الأخير يقع اختياره على حكمة لهيلين كيلر، "نجاحك وسعادتك تكمن فيك"[1736]، وهذه هي خلاصة حياتها، إذ اعتبر نجاحها في الحياة معجزة[1737]، من ثم أدرك إدريس أن الإنسان يمكنه تحقيق المعجزات طالما لديه إرادة قوية، وأما تعليق الآمال على الآخرين فلن يخلق النجاح ولا السعادة، لأن الأشخاص يتغيرون، والأماكن والأحوال تتقلب، لذلك يلزمه شق طريق النجاح بالإمكانيات الشخصية، وألا يتذرع بظروفه غير

1731 نفسه، ص 127.
1732 طفولة بلا مطر، ص 131.
1733 نفسه، ص 137.
1734 نفسه، ص 15.
1735 نفسه، ص 141.
1736 طفولة بلا مطر، ص 147.
1737 كتبت هيلين كيلر (1880م-1968م) عدة مؤلفات، ومن أبرزها كتاب بعنوان "قصة حياتي"، ومسرحية تناولت أطوار حياتها عنوانها "صانع المعجزات"، وكلاهما يدور حول تغلبها على أصعب ما يمكن للمرء أن يبتلى به؛ الصمم والعمى، علما أن السمع والبصر هما أكثر حاستين يستعملهما الإنسان للتعلم واكتشاف العالم، ومع ذلك تحدت هذه الإعاقة المزدوجة وحققت نجاحا باهرا نالت على إثره أوسمة وجوائز، كما عدت واحدة من الشخصيات الأكثر تأثيرا داخل أمريكا وخارجها في ق20م.

ر دمد: 2737-8322 ISSN ** الإيداع القانوني: 02 ن د 2021

الشجعة، وكأنه يقتنع بأن تحقيق النجاح والسعادة لا يتوقفان على القرية والتعلق بها وبأهلها، خاصة و أنه بدأ يكبر ويشعر بمسؤولية أكبر، ويكبر معه الحلم والأمل والقلق من المستقبل.

خلاصات:

بعد هذه الجولة في عالم سيرة إدريس لكريني، أمكننا الخلوص إلى جملة من الخلاصات، في مقدمتها أن طفولته كانت محفوفة بالحرمان والشقاء، وإن غطتها البراءة، فكأننا أمام طفل لم يعش طفولته كباقي الصبيان في عمره، بل عاش أغلب فترات حياته معزولا، وإن كان وسط الناس، وتحمل المسؤولية صغيرا، رفقة أمه في غياب الأب، لذا لا غرابة في أن يتمنى إدريس لو عادت به الأيام ليعيش طفولته طفلا سعيدا، وإن تعذر الأمر واستحال فلا أقل من أن يسرد قصتها. هذا انعكس على لغته وأسلوبه ففي كل محطة من الكتاب نشعر بأنه يقسم العالم حسب معيار معين، ويصنف فئاته، وكأنه يتساءل في نفسه من أي فئة أنا، وكيف سأصبح غدا؟ إنه يشعرنا بأن لديه وعيا، مذ كان طفلا، بتقلبات العالم، وأن العلاقات الدولية بكل أطيافها ما هي إلا توسيع لعلاقات الأشخاص في قرية صغيرة.

ثم إن الكاتب يتذكر بقلب الطفل، لكنه يكتب بقلم الأكاديمي الناضج، مما يجعل القارئ يحار عند محاولة تتبع رهان الكاتب، فتارة يتبين أنه يفتخر بطفولة بائسة تمخضت عن أكاديمي ناجح، وتارة تراه يسرد بنفس متحسرة على الزمن الجميل الذي ولى بحلوه ومره، وتارة يقدم مثالا يقتدى به في الخروج من الظلمات إلى النور، وتارة أخرى يلفت انتباهنا إلى عشرات الأطفال هم مثل الطفل إدريس لكريني، يعيشون حياة قاسية كحياته أو أشد، وينبغي الالتفات إليهم، خاصة أن زماننا لم يعد يقبل البساطة ولا العفوية كما في السابق.

وكذلك طول عهد الكاتب بطفولته وأحداثها غيب عنه كثيرا منها، أو تعمد تغييبها، مما خلق ارتباكا في بعض الأحيان على مستوى ترتيب الأحداث، وسرعة الانتقال من حدث إلى آخر فجأة، وكأنه يريد التخلص من ثقلها الذي ناء به كاهله لسنوات، أو التخلص من ذكريات مؤلمة ومحزنة، أو لعلها براءة الطفولة ظلت تلاحقه، أو أن الإحساس بمتعة الكتابة أذهله "كانت فرصة بالنسبة لي كي أعيش الحدث الماتع مرتين"[1738].

إن مثل الطفولة كمثل النبتة، تحتاج إلى ماء يساعدها على تمتين جذورها في التربة، وعلى النمو السليم الذي يساعد على الإثمار في حينه، لكن انحباس المطر والماء عنها يؤذن بهلاكها حتما، وإن استطاعت النمو فبمعجزة، أو لشدة صبرها وتحملها. من هنا نقول لقد استطاع الكاتب، بلا ريب، تجاوز تلك المرحلة من حياته بنجاح باهر، علما بأن الظروف كانت تقف ضده، والجفاف يحيط به من كل مكان، ولكنه استطاع أن يزرع ويجني ثمار زرعه بلا مطر.

هذه السيرة تعكس حنينا لموطن شكل بداية أحلام إدريس لكريني، كما أن الكتابة عن هذه القرية، في ظل انشغالاته اليومية، يعد نوعا من الوفاء من ابن بار تجاه مسقط الرأس، ف"مهما طال غيابنا، وتعددت مسالكنا، سنظل أوفياء لملاذنا الجميل"[1739]. أو لعله أراد رد الجميل لقريته، بإثارة انتباه جهات معينة إلى الاهتمام بمنطقة لطالما شكلت نقطة قلق وشوكة في حلق المستعمر الفرنسي، وتزخر بمآثر تاريخية وطبيعية

1738طفولة بلا مطر، ص 69.
1739نفسه، ص 149.

تؤهلها لأن تكون أفضل مما هي عليه، أو كأنه عمل بوصية سائق الشاحنة الذي أقله إلى فاس حين قال له: "عندما تكبر وتتفوق في دراستك، لا تنس "البسطاء" مثلي"[1740].

من جهة أخرى، بدأت السيرة بداية طفولية بريئة مشوقة، وختمت بخاتمة محزنة تؤذن بقرب الرحيل عن عالم القرية الجميل، وكان ذلك أمرا حتميا، نظرا لإحساس إدريس أنه لم يعد طفلا محدود الآفق والرؤيا، ولسان حاله يردد لقد غدوت شابا طموحا "ينتابني شعور بالمسؤولية، وإحساس بأني كبرت"[1741]، لقد كبر وكبرت معه الأحلام، كما كبرت معه مسؤولية انتشال نفسه وأسرته من هذا الجفاف.

من يتتبع لحظات حياة الطفل إدريس يكاد يجزم أن قصته تعيد إلى أذهاننا كثيرا من لحظات حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليتيم؛ كرحيل الأب، وإن اختلف الرحيل، ورحيل الجد والزوجة بعد ذلك، وهجرة الناس والأصدقاء والأقران، فكأن النجاح يولد من رحم المعاناة، وأن الألم يبني شخصية قوية قادرة على مواجهة الصعاب بعد ذلك، وكلاهما تحمل بعدها رسالة سامية تتجلى في تعليم الناس الخير وتبصرهم بالحق والواجب، وتأخذ بيدهم لتخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

والحق أن النجاح يولد فعلا من رحم المعاناة، كالحديد الذي يقوى بالنار، وقد أوصاه أبوه منذ صغره عندما وجده يرتجف من البرد والجوع ونال منه التعب، فقال له "ينبغي أن تتذكر دائما هذه الوقفة، و أنت ترتجف من شدة البرد، في كل لحظة، لتكون حافزا لك في مسارك الدراسي"[1742]، ورأى كذلك حسرة النادمين على التفريط في العلم، حتى لا يقول هو كذلك يوما ما "لقد ندمت متأخرا، لعدم استكمال دراستي. وها أنا أدفع الثمن، بعملي الشاق"[1743]. لذلك فالجفاف يدفع إلى البحث عن الماء والارتواء، والحاجة تدفع إلى البحث عن تحقيق الأفضل.

تكشف هذه السيرة كذلك أن حياة الطف إدريس لكريني هي حياة عدد من أطفال قرى المغرب، أو الأحياء المهمشة، معاناة تسلمهم لأخرى، ولا يكاد يحل مشكل إلا بحلول مشكل جديد، لكنهم مع ذلك استطاعوا أن يصبحوا رجالا ذوي شأن كبير في نهاية المطاف.

وأخيرا لقد كانت طفولة لكريني حافلة بالاكتشافات إلى أن وصل إلى أن العالم أكبر من الطفولة وحدودها وأحلامها، ولكنه بعدما كبر اكتشف أن الحياة التي تستحق أن يتمناها المرء ويكتب عنها ويقصها على من يحب هي حياة الطفولة، ولهذا كتب عنها، وأمتع واستمتع بهذا العمل[1744].

<u>المرجع المعتمد:</u>

- لكريني، إدريس، طفولة بلا مطر، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، سبتمبر 2023.

1740 طفولة بلا مطر، ص 138.
1741 نفسه، ص 150.
1742 نفسه، ص 111
1743 طفولة بلا مطر، ص 138
1744 قال عندما حل ضيفا في نشرة الظهيرة على القناة الثانية المغربية: "لا أخفيك، رغم أنني كتبت هذا العمل، لكن، عندما أقرؤه، أقرؤه بنفس المتعة ونفس الشوق" (نشرة الظهيرة بتاريخ 06 يناير 2024- فقرة ركن الظهيرة).

ر دمد: ISSN: 2737-8322 ** الإيداع القانوني: 02 ن د 2021